مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد 11/ العدد: 02 (2023)، ص: 848-868

التّجليّات الفلسفيّة للنّقد السّيميولوجي في ضوء النصّ الأدبي

The philosophical manifestations of semiological criticism in the light of the literary text

ط.د أسماء لصفر[1]،أ.د زين الدين مختاري[2]

مخبر تعريب المصطلح في العلوم الانسانيّة والاجتماعيّة

[1] جامعة أبي بكر بلقايد(تلمسان)، asmalasfar123@gmail.com

[2]جامعة أبي بكر بلقايد (تلمسان)، zinemokhtari1908@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/05/30 تاريخ القبول: 2023/08/05 تاريخ النشر: 2023/10/06

ملخص:

يحاول هذا البحث الموسوم "التّجليّات الفلسفيّة للنّقد السّيميولوجي في ضوء نظريّة النّص الأدبي" أن يقترب من مقصده الأساس، ألا وهو التّعريف بالسّميّائيّة وصولا إلى مفهوم مصطلح السّيميولوجيا، وأهمّ أسسها الفلسفيّة والفكريّة عند كلّ من فرديناند دي سوسير، التّي عرفت عنده باسم السّيميولوجيا، وشارل بيرس الذّي أطلق عليها اسم السّيميوطيقا، وموضوعيهما هو دراسة الأنظمة العلاميّة المختلفة اللّغويّة منها وغير اللّغويّة، وكيفيّة تنظير هذا النّقد السّيميولوجي للنصّ الأدبي، فنظرة سوسسير مبنيّة على تصوّر ثنائي (دال ومدلول)، أمّا بيرس فتصوّره ذو بعد ثلاثي (دال ومدلول ومرجع خارجي).

كلمات مفتاحية: نقد، سيميائيّة، سيميولوجيا، سيميوطيقا، نص أدبي.

Abstract:

This research, entitled ”The philosophical manifestations of semiological criticism in the light of the literary text”,attempts to approach its main purpose, namely the definition of semiotics, arriving at the concept of the term semiology,and its most important philosophical and intellectual foundations for

Ferdinand de Saussure, who was known to him as Semiology and Charles Peirce, who called it semiotics and their subject is the study of the different linguistic and nom-linguistic systems of science, and how to the orize this semiological criticism of the literary text.

Keywords: cash, semiotics, semiology, semiotics,literart text.

***المؤلف المرسل:** أسماء لصفر

1. مقدمة

عجّ القرن العشرون، وماقبله بعدد من النّظريّات و المناهج و الأفكار، وقد تداولت على النّقد الأدبي عبر مسيرته التّطوّريّة مناهج متعدّدة، بدأت بالقراءة التّذوّقيّة مرورا بالمناهج البلاغيّة، و الاجتماعية، والنّفسية في إطارها السّيّاقي إلى أن جاء التّحوّل النّسقي الذّي جاءت معه مجموعة من المناهج كالبنيويّة، والسّميائيّة، و نظريّة التّلقّي، و الموضوعاتيّة، و التّداوليّة، و غيرها .

وكلّها نظريّات منبثقة من اللّسانيّات الحديثة في القرن العشري، فكانت أكثر المناهج تأثيرا في مسيرة النّقد الأدبي منهج السّميائيّة التّي تعدّ علما خاصّا يهتمّ بالعلامات الهدف منه دراسة المعنى الخفي لكلّ نظام علاماتي، فهي تدرس لغة الإنسان، و الحيوان، وغيرها من العلامات غير اللّسانيّة باعتبارها نسقا من العلامات مثل علامات المرور وأساليب العرض في واجهة المحلاّت التّجاريّة ،ورموز الخرائط، و الرّسوم البيانيّة و الصّور وغيرها

وانطلاقا من هذا يمكن تحديد إشكالات هذا البحث، فما السّميائيّة ؟ وما أهمّ أسسها الفكريّة والفلسفيّة؟

وكيفيّة تنظيرها للأدب ؟ والهدف من هذا الطّرح إظهار بعض تجليّات النّقد السّميائي في الأدب أو كيفيّة تنظير هذا المنهج للأدب ؟.

2. مفهوم السّميائيّة و أسسها الفلسفيّة و الفكريّة:

السّمياء علم يعنى بدراسة العلامات أو بنية الإشارات، وعلائقها في الكون، ويدرس بالتّالي توزّعها ووظائفها الدّاخليّة، و الخارجيّة وعلم يهتمّ بكلّ الإشارات الدّالّة مهما كان نوعها و أصلها من طقوس ورموز وعادات وكتابة، و لغة... (الوعر، 1988، صفحة 09).

فالإشارات و العلامات المحيطة بنا تتكلّم عن نفسها مشيرة إلى وظيفة ما قد نعلّمها نحن وقد نجهلها.

فهي مصطلح يلجأ إليه النّاقد للإشارة إلى وجود علاقة بين شيئين لهما صلة مع بعضهما البعض، ليشكّلا دلالة ينحصر معناها في نوعيّة تلك العلاقة، أو هي قابلة للإدراك ليس لها معنى في حدّ ذاتها، و هذا الإدراك يكون عند عدم ارتباطها بالعنصر القابل للإدراك و هو الدّال و لهذا يعرّفها **إمبرتو إيكو** على أنّها "كلّ كيان يملك مدلولا" (ايكو، 2007، صفحة 59).

ظهرت السّميائيّة خلال النّصف الأوّل من القرن العشرين تحت اسم العلم الشّامل لأنّها " تدرس كيفيّة اشتغال الأنساق الدّلاليّة التّي يستعملها الإنسان والتّي تطبع وجوده وفكره " (مرابط، 2010، صفحة 10).

وعرّفها **جوزيف كورتيس** أنّها " البحث عن المعنى ومسار الدّلالة في سيّاق أشمل من سيّاق التّواصل الذّي قوامه باث ومطلق " (وأخرون م.، 2010، صفحة 268).

ومعنى هذا أنّ السّمياء تهتمّ بجميع السّيّاقات اللّغويّة وتبحث عن المعاني ودلالاتها ووظائفها، حيث رأها **سوسير** أنّها ذلك العلم الذّي يدرس العلامات داخل الحياة الاجتماعيّة، سواء أكانت هذه العلامات لسانيّة أو غير لسانيّة (لوشن، 2008، صفحة 327).

فالسّميائيّة تسعى إلى تحويل العلوم الإنسانيّة خاصّة (اللّغة و الأدب والفن) من مجرّد تأمّلات، و إنطباعات إلى علوم قائمة بذاتها و بالمعنى الدّقيق

للكلمة، ووصفها من خلال أنساق من العلامات تكشف عن الأبنيّة العميقة لها، ويمكنها هذا التّجرّد من استخلاص القوانين التّي تتحكّم في هذه المادّة فنجد **س.و.موريس** يرى " أنّ السّميائيّة لم تكن مجالا تخصّصيّا فحسب بل أنّها احتلّت فوق ذلك موقعا مركزيّا في البحث العلمي بوجه عام، إذ كان عليها مهمّة اكتشاف اللّغة المشتركة في النّظريّة العلميّة " (أفيتش، 2000، صفحة 352).

واستمدّت السّميائيّة المعاصرة بعض مبادئها من الأطروحات الوضعيّة في جنوحها للشّكل وميلها نحو العلميّة لأنّ الوضعيين هم من اعتبروا أنّ اللّغة كلّها رمزا (كراد، مدخل الى السّيميائيّة السّرديّة، 2003، صفحة 06)، نظرا لاشتراكها بين البشر، وباعتبارها علامة، والعلامة ركن من أركان التّواصل بين الإنسان والإنسان وبين الإنسان و الطّبيعة (تاوريرت، 2006، صفحة 110).

وردت لفظة سمياء في المعاجم بمعنى العلامة، أمّا في الإصطلاح فهي علم عرف عند العرب القدامى بعلم الدّلالة، وقد جزم العديد من النقّاد العرب أنّه قد استفاد من روافد شتّى جعلته يلتقط اهتمام العديد من المشتغلين في حقول شتّى من العلوم ، وهذا ما يؤكّده النّاقد **عبد المالك مرتاض** في رأيه حول السّمة والسّميائيّة بقوله "وكذلك ابتدأت السّميائيّة طبّيّة فلسفيّة ثمّ لغويّة خالصة ثمّ تشعّبت الى أدبيّة مع احتفاظها بوصفها اللّساني " (مرتاض، السّمة والسّيميائيّة، صفحة 19).

أي أنّ علم السّمياء أو علم الدّلالة بدأت نشأته بالمحسوسات ثمّ تطوّرت إلى الدّلالة المجرّدة بتطوّر العقل الإنساني، ورقيّه، ومعنى هذا أنّه كلّما ارتقى وتطوّر التّفكير العقلي جنح إلى استخراج الدّلالات المجرّدة، وتوليدها، واستعمالها، والاعتماد عليها (متقور، 2001، صفحة 16). فعلم السّيمياء وعلم الدّلالة مرتبطان إلى حدّ كبير حيث كلاهما استفاد ونهل من العلوم الأخرى كالطّبّ والفلسفة و اللّغة و الأدب.

فمصطلح السّيمياء في أبسط تعريفاته و أكثرها استعمالا أنّه شبكة من العلامات التّنظيميّة المتسلسلة وفق قواعد لغويّة متّفق عليها في بيئة معيّنة، حيث يستعصي الأمر على كلّ باحث أن يحدّد ماهيتها، لأنّ هذا المصطلح ذو طبيعة زئبقيّة لا يمكن لأيّ باحث أو دارس كان أن يعرف معناه الثّابث، لأنّه يولد ويزداد قوّة و أشارة في كلّ بحث، و درس.

وقد احتلّت السّميائيّة في المجال النّقدي الغربي مكانة مميّزة ومرموقة مع القطبين الغربيين فرديناند **دي سوسير و شارل بيرس**، بوصفها ذلك النّشاط المعرفي الذّي له قواعده وأصوله، وامتداداته، حيث تنهل أصولها و مبادئها من مجموعة من الحقول المعرفيّة كاللّسانيّات و المنطق و التّحليل النّفسي، والأنثروبولوجي. ومعنى هذا أنّه كان لهذه الحقول دور، وفضل كبير في تأسيس و تحديد مفاهيمها، وطرق تحليلها و دراستها (كراد، السّيميائيّة (مفاهيمها وتطبيقاتها)، 2012، صفحة 25) .

فبهذا فالسّميائيّة جاءت كمشروع جديد موضوعه دراسة حياة العلامات على يد **سوسير** عند دراسته طبيعة الدّليل اللّغوي حيث قال " ينبغي أن يتساءل أصحاب علم الدلائل عندما ينتظم أمره إذا كانت طرق التّعبير التّي تقوم على دلائل طبيعيّة صرفة كالتّعبير بالإشارات هي من مشمولات علمهم الشّرعيّة أم لا، فاذا افترضنا أنّه يشملها فانّ موضوعه الأساسي سيبقى لا محالة مجموع الأنظمة القائمة على اعتباطيّة الدّليل " (بوخلخال، 1995، صفحة 74).

إذن فالسّميائيّة حسب **سوسير** " هي علم يدرس أبجديّة الصمّ، و البكم، والكتابة، و الطّقوس الرمزيّة، وغير ذلك، أمّا علم اللّغة (اللّسانيّات) فهو مجرّد فرع من هذا العلم العام " (مرابط، 2010، صفحة 10).

ومن هذه الرّؤية فانّ هذا العلم هو علم يدرس حياة العلامات من داخل الحياة الاجتماعية، فهو يشكّل جزءا من علم النّفس العام، و بذلك نطلق عليه

أيضا السّيميولوجيا (أي علم الدّلالة) فـ**سوسير** قد أحال مرجعيّته أنّها اجتماعيّة نظروا إستنادا لما يحيط بالإنسان، فهي في نظره جزء من علم النّفس الاجتماعي تدرس العلامات في صميم الحياة البشريّة، واهتماماته مختلفة تتنوّع بين الأيديولوجيّات و الاقتصاد و التّحليل النّفسي، والأدب وغيرها من مجالات الحياة.

و العلامة نوعان لساني مجاله في اللّغة، وغير لساني يظهر في الشمّ و الذوق و اللّمس، والإيماء، و الصّوت و الطّعام، واللّباس و هذا ما يؤكّد أنّ علم العلامات هو سيميولوجيا تهتمّ بحياة الإنسان الاجتماعيّة بكلّ ما يحيط به (بركات، 2002، صفحة 57).

فحقيقة اللّغة حسب **سوسير** لا تفهم خارج المجتمع ويجب أن ندرس حياتها، أي دراسة استخدام العلامات من طرف المجتمع، وتتبع تطوّر دلالات هذه العلامات، ودليل هذا قوله عن السّميولوجيا أنّها "علم يدرس الدّلائل في صلب الحياة الاجتماعيّة " (سوسير، محاضرات في الألسنيّة العامّة، 1985، صفحة 37).

ويؤكّد سعيد بن كراد ماقاله **سوسير** وهو يصنّف السّمياء في قوله " بأنّها دراسة حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعيّة، ويؤكّد بأنّها في حقيقتها كشف واكتشاف علاقات دلاليّة غير مرتّبة من خلال التّجلّي المباشر للواقع، كما أنّها تدريب للعين على التقاط الضمني و المتوازي والممتنع " (بلخيري، 2002، صفحة 11).

وهذا **عمّار شلواي** أيضا يشير إلى السّميولوجيا، و قد عدّه من العلوم الحديثة، وثمرة من ثمار القرن العشرين، يدرس العلامات في صميم الحياة الاجتماعيّة، ويمنح لنفسه أحقّيّة القدرة على دراسة الإنسان دراسة متكاملة من خلال العلامات المبتدعة من قلبه لإدراك واقعه في آن واحد. فهو علم الإشارات الدّالّة مهما كان نوعها (حمّوز، 2011، صفحة 64).

ويعدّ **عبد المالك مرتاض** قطبا من أقطاب السّميائيّة في الوطن العربي، والذّي سجّل لنفسه حضورا مميّزا في السّاحة النّقديّة الجزائريّة حيث يقول حولها " إنّ مفهوم السّميائيّة آت كما هو معلوم من تركيب (س.و.م) الذّي يعني فيما يعني (العلامة) التّي يعلّم بها شيئا ما كالثّوب و إنسان ما كالوشم، أو حيوان ما كاسم القبائل العربيّة التّي كانت تسمّى بها إبلها. ومن هذه المادّة جاء لفظ " السّيما " بالقصر و " السّيمياء" بالمدّ و"السّمياء" (مرتاض، نظريّة النصّ الأدبي، صفحة 157).

يتّضح من طرح **عبد المالك مرتاض** أنّه قد اصطنع لنفسه مصطلحا خاصّا به بقوله السّيميائيّة، وربطها بالعلامة، ويفسّرها بضرب أمثلة من الواقع ففي نظره الثّوب علامة، و الوشم علامة تميّز صاحبها عن غيره، ونجده يعتمد على الجانب النّحوي لإثبات مصداقيّة مصطلحه المستعمل، وذلك لرجوعه إلى المعاجم العربيّة كلسان العرب.

بما أنّ السّميولوجيا هي دراسة العلامات فهو يعتبر هذه العلامات كيانا ثنائي المبنى يتكوّن من وجهين يشبهان وجهي العملة النّقديّة، لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، الوجه الأوّل أي الصّرة الذّهنيّة ـ أو الصّورة المرتسمة للمسمّى على المستوى الذّهني، وهذه العلامات تتكوّن من دال ومدلول، والعلاقة التّي تربط بينهما هي في رأي **سوسير** علاقة إعتباطيّة في معظم الأحيان (بنّاني، 2001، صفحة 62)، باستثناء العلامات اللّغويّة المحاكيّة التّي يكون فيها الدّالّ يحاكي المدلول كموّاء القطّ، و خرير الماء (وأخرون ع.، 1996، صفحة 76).

ومن جهة أخرى نجد **سوسير** يحدّد العلاقة بين اللّسانيّات و السّميولوجيا، بأنّ المصطلح الأوّل فرع من الثّاني، إذ اعتبر السّميولوجيا محتويّة للّسانيّات من زاوية أنّ اللّغة نظام إشاري يمتاز بالأفضليّة، والاتّساع أكثر من الأنظمة الأخرى، ولذا كانت دراسته حولها ولم يمنعه هذا من إعطاء تعريف شامل للسّميولوجيا

رابطا إيّاها بالمجتمع (الأحمر، معجم اللّسانيّات، 2010، صفحة 17)، ومعنى هذا أنّه مادام أنّ اللّسانيّات جزء من السّميولوجيا فإنّ القوانين التّي سيكشف عنها علم العلامات (السّميولوجيا) سيكون تطبيقها على اللّسانيّات ممكنا .

ولتحديد مبادئ المنهج السّميائي لابدّ من مراعاة ثلاثة خصائص ضروريّة بدءا من خاصّيّة **المحايثة** التّي من شأنها التّحكّم في المنهج، كون السّيمياء منهج داخلي محايث، ويعني ذلك أنّه يرتكز على داخل الرّسم أو الصّورة، و علاقته بمحيطه الخارجي ويتّوسّع في سيّاق ثقافي وحضاري بمعنى أنّ التّحليل المحايث يتطلّب الاستقرار الدّاخلي للوظائف النّصيّة (الرّسم) التّي تسهم في توليد الدّلالة (بلاسم، 2008، صفحة 23).

وثاني هذه الخصائص **التّبنين** وهو لفظ آت من المنهج البنيوي لأنّه المنهج الوحيد القادر على خلخلة الدوال و الرّموز داخل النّص الأدبي، أو الرّسم على حدّ سواء، وأخر هذه الخصائص **الكليّة** وسمّيت كذلك لأنّها تدرس الكلّيّات العامّة وتعمل على تنظيمها تنبع من طبيعة الموضوع الذّي تدرسه السّميائيّات (ثاني، 2008، صفحة 48). وبمعنى أخر فإنّ الكليّة تسير مع المنهج السّميائي جنبا إلى جنب.

في حين نجد العالم الأمريكي **شارل بيرس** تناول السّميولوجيا على أنّها مذهب الطّبيعة الجوهريّة، والتّنوّعات الأساسيّة للدّلالة الممكنة وقد عرف عنده علم العلامات بمصطلح السّيميوطيقا التّي تقوم على المنطق، والرّيّاضيّات، والظّاهراتيّة، وهي نظام رمزي لا يستقيم إلاّ بواسطة التّواصل، وبالتّالي لم تصبح السّيميائيّة علما قائما بذاته إلاّ بالعمل و الرّؤية التّي قام بها بيرس، وجعل السّيميائيّة تضمّ العلوم الإنسانيّة و الطّبيعيّة اعتبرها مرادفة للمنطق (وأخرون ع.، 1996، صفحة 75).

وعرّفها كلّ من **بيرس** و **موريس** و **إمبرتو إيكو** " أنّها نظريّة عامّة تدرس أنظمة العلامات " (الأحمر، السّيميائيّة الشّعريّة ، 2005، صفحة 280). فالسّيميوطيقا تهتمّ بكلّ علامة دالّة تكون اللّغة جزء من هذه العلامة الدّالة.

وانطلق **بيرس** في إرساء تصوّره من أسس إبستيمولوجيّة حتّى خرج باسم للسّميوطيقا، فهي لا تخرج حسب تصوّره عن المنطق باعتباره القواعد الأساسيّة للتّفكير و الحصول على الدّلالات المتنوّعة، ولا تنفصل عن الفينومينولوجيا من جهة أخرى باعتباره منطلقا صلبا لتحديد الإدراك وسيروراته ولحظاته (كراد، السّيميائيّة (مفاهيمها وتطبيقاتها)، 2012، صفحة 87).

ومن خلال تطرّقنا لكلا المصطلحين (سيميولوجيا / سيميوطيقا)، علمنا أنّهما مترادفان في المعجم الموسوعي لعلم اللّسان فكلمة سيميولوجيا تعود مرجعيّتها الى اللّسانيّات، بينما مصطلح سيميوطيقا تعود مرجعيّتها إلى المنطق وهي مرادفتها، و موضوعهما هو دراسة الأنظمة العلاميّة المختلفة اللّغويّة منها وغير اللّغويّة، فنظرة **سوسير** مبنيّة على تصوّر ثنائي (دال و مدلول)، أمّا **بيرس** فتصوره ذو بعد ثلاثي (دال ومدلول و مرجع خارجي).

وفي الأخير، فإنّ السّيميائيّة تهتمّ بدراسة العلامات اللّسانيّة، وغير اللّسانيّة، حيث تطوّرت من خلال جهود **سوسير** الذّي اعتبر السّيمياء مهتمّة بدراسة العلامات داخل المنظومة الاجتماعيّة، و العلامة كيان ثنائي من دال ومدلول، و العلاقة بينهما اعتباطيّة، بالإضافة إلى جهود **بيرس** الذّي يرجع أساسا السيّمياء إلى المنطق و الفلسفة كذلك نستنتج أنّ السّيميائيّة تقوم على مقولات نموذجية تعمل على هيكلة المفاهيم المترامية للعلامة، و الملاحظ أيضا أنّه من خلال جميع الاعترافات، و المفهومات فإنّ أغلب العلماء اتّفقوا على نقطة واحدة هي أنّ ركيزة السّيميولوجيا الأساسيّة هي العلامة التّي تدور في المجتمعات و لا تتحقّق إلاّ بفعل التّواصل.

3. التّجليّات الفلسفيّة للنّقد السّيميولوجي في ضوء النصّ الأدبي:

بما أنّ السّيميولوجيا أو ما عرف بعلم العلامات هو إحدى علوم اللّغة التّي تدرس الإشارات، أو العلامات وفق نظام منهجي خاص ، يبرز ويحدّد الإشارة أو العلامة اللّغويّة أو التّصويريّة في النّصوص الأدبيّة ، وفي الحياة الاجتماعيّة (وأخرون ج.، 2004، صفحة 13). دعا **سوسير** إلى الاهتمام بالعلامة لمنطلقات لغويّة من خلال مفهومه للّغة بوصفها منظومة من العلامات تعبّر عن فكر ما مع تركيز دائم على العلاقات التّي تربط بين الوحدات، و العناصر اللّغويّة كم قرّر **دي سوسير** اعتباطيّة العلامة اللّغويّة بينما تقول السيّميائيّة باعتباطيّة العلامة ممّا يمنح الدّوّال مدلولات لا نهائيّة.

في حين يرى البعض نظرة مغايرة حول العلاقة الاعتباطيّة أنّها ليست باعتباطيّة و إنّما ضروريّة، و أنّ الدّال هو تلك الصّورة الصّوتيّة، و المدلول هو ما تثيره هذه الأخيرة في ذهن المتلقّي.

فاللّغة بمثابة الكائن الحيّ تحيا كما يحيا الإنسان وتموت كما يموت، وعي الوعاء الذّي يحتوي على ثقافة، وحضارة المجتمعات ويختزل عقليّاتهم، وبهذا فانّه لا شكّ أنّه هناك علاقة بين العمل الأدبي و الفنّي، و اللّغة المعبّرة، مادام الفنّان يعبّر و يصوّر أحداث مجتمعه، لذلك لا يمكنه استعمال لغة لا يفهمها الجمهور، وإنّما يستعمل لغة الجماعة التّي تكسبه البراعة، ويكون الفنّ وليد الحياة الاجتماعيّة. وكسب قلب الجمهور كما يجب إستعمال مدلولات مستوحاة من الوسط الجماعي، وتحويلها بخياله إلى لغة فنّيّة اجتماعيّة (العشماوي، 1980، صفحة 34).

وبما أنّ **سوسير** ربط السّيميولوجيا أو ما يعرف بعلم العلامات بالحياة الاجتماعيّة فانّ للفنّ تداخل مع هذه الأخيرة، و تغلغل في صميمها، حيث يصبح الفنّ مبدأ الحياة، ومبدأ الفنّ الحياة نفسها، نجد **جوبو** يقول حول علاقة الحياة

بالفنّ و الجمال " الحياة مبدأ الفنّ، ويمكن أن يعرف الجمال بأنّه أدراك أو فعل ينعش الحياة في صورها الثّلاث العاطفة و العقل و الإرادة، وما لذّة الجمال إلاّ شعور بهذا الانتعاش العامّ، فالانفعال الفنّي هو الذّي يملك كياننا كلّه في لحظة التّذوّق ولا يتمّ تذوّق الجمال إلاّ في نطاق شعورنا بالحرّيّة " (زيّان، 1994، صفحة 199).

ومن هذا يبدو جليّا علاقة العلامات بالمجتمع و الحياة و الفنّ و الجمال، فكلّ ما يتعلّق بالسيّميولوجيا من ثنائيّات وعلامات وإشارات هي بمثابة جسر رابط بين الفن و الحياة الاجتماعيّة.

يتّخذ الفنّان اللّغة وسيلة للخلق و الإبداع ليحقّق نجاحه الكامل، ولا يلتزم بقواعدها كونه خالقا و مبدعا، فهو حرّ رغم كلّ شيء، فقدرته الخاصّة تجعله ينتج شكلا جديدا يبهر به القرّاء و يلفت الإنتباه الى عبقريّته في إستعمال اللّغة (سوسير، محاضرات في علم اللّسان العام، 1987، الصفحات 87-90). فاللّغة هنا هي المنتج الحيوي للمعادلات و الوحدات السّيميولوجيّة، فالفنّ إبداع، وخلق أداته اللّغة.

فالفنّ أو العمل الأدبي أسمى صورة تظهر لنا فيها الحقيقة، لأنّ الفنّان بذلك قادر على التّوفيق بين الذّات و الموضوع، بواسطة الخيال من خلال تمثيله الذّهني للشّيء بعدما يحدث عنده انطباع نفسي للصّوت أو الصّورة التّي يتلقّاها، فينتج عملا جديدا لم يكن موجودا (العشماوي، 1980، الصفحات 32-34).

ويؤكّد **إليوث** أنّ الخلق الأدبي ليس تعبيرا عمّا في ذواتنا فحسب، وليس نسخا للواقع، وإنّما خلق تجربة جديدة حتّى ولم تحدث له لخدمة مجتمعه وحلّ مشاكله فيقول " فالعقل الخالق كالمؤثّر الكيميائي، تدخله تجارب الفنّان في الحياة فتتحوّل إلى مادّة جديدة تختلف عمّا كانت عليه من قبل، أمّا هو فيظلّ محايدا " (العشماوي، 1980، صفحة 46)، فالخلق هنا يكون بعد تلقي الفنّان للصّورة

المختلفة، و التقاطها بطريقته الخاصّة، فتحدث انطباعا نفسيّا و بالتّالي تمثيلا ذهنيّا يجسّده في عمله الفنّي بشكل جديد يحدث في المتلقّين أثرا فنيّا، بعيدا عن ذاته وشخصيّته.

فالعلامة عند **سوسير** كما ذكرنا سابقا ثنائية وحصرها في حلقة الكلام بينما هي ثلاثيّة عند **بيرس** خرج بها عن الكلام، فكلّ علامة عنده مرتبطة بثلاثة أشياء، تعدّ في نظر **بيرس** ضروريّة تعرف بالمصوّرة تقابل الدّال عند **سوسير**، وهي الصّورة الصّوتيّة الحسيّة التّي تطلق على المسمّى انطلاقا من سلسلة الأصوات، بمعنى أنّها تخلق في عقل المتلقّي علامة معادلة أو علامة أكثر تطوّرا، وهذه العلامة التّي تخلقها تسمّى مفسّرة للعلامة الأولى (وأخرون م.، صفحة 26).

بمعنى أن يقوم الفنّان بنقل هذه العلامات بشكل فنّي راقي ومتطوّر أكثر جمالا لتجسيد ما يريده في حلّة جديدة، ليوصل الفكرة للمتلقّين بشكل أفضل، ويفسّر ما يراه الفنّان من خلال نظرته الأولى للشّيء المراد تصويره. والعلامة المفسّرة هي ثاني أضلاع مبنى العلامة عند **بيرس** وتقابل المدلول عند **سوسير** وهي ركيزة المعنى، وكان يعتبرها علامة جديدة تنجم عن الأثر الذّي يتركه الموضوع في ذهن المتلقّي.

وأمّا الزّاويّة الثّالثة في مثلّث العلامة عند **بيرس** فهو الموضوع، ولم ينتبه إليه **سوسير** لذلك لم يكن له مقابل عنده في تقسيمه لأركان العلامة بينما عدّه **بيرس** جزءا من العلامة وليس شيئا من أشياء عالم الموجودات، مع تمييزه بين نوعين من الموضوعات، الأوّل هو الموضوع الدّيناميكي وهو الشّيء في عالم الموجودات التّي تحيل عليه العلامة، كالشّجرة و البيت في العالم المحسوس، و الثّاني هو الموضوع المباشر، وهو جزء من أجزاء العلامة، فإذا كان الموضوع الديناميكي هو شيء ممثّل في العالم المحسوس فإنّ الموضوع المباشر هو الكليّات المجرّدة، و العلامة لا تنوب عن الموجودات الواقعيّة ولكنّها تنوب عن الكلّيّات المجرّدة.

وهذا ما يسمّى عند **أفلاطون** محاكاة المحاكاة، أو صورة لصورة لأنّ الفنّان لا يقدّم صورة حقيقيّة طبق الأصل عن الطّبيعة بل يضيف إليها من مشاعره ، وعواطفه، وخياله الواسع، وطموحه لخلق علامة معادلة أو أكثر تطوّرا في عقل المتلقّي، وفي هذا السّيّاق يقول زكي نجيب محمود " فهو لم يلحظ ما للفنّ من خلق، ولم ير أنّ الفنّان لا يقتصر على تقليد الطّبيعة بل يكمّلها ويسبغ عليها شيئا من شعوره وطموحه " (رمضان، 2004، صفحة 27)، فالصّورة هي العلامات والدّلائل المستوحاة من الواقع ، والعالم الخارجي، و التّي تعكس في الأعمال الأدبيّة لدى الفنّانين و الشّعراء، وهي ليست الفكرة أو الصّورة الحقيقيّة، وإنّما الشّيء الذّي يمثّل و ينوب عن الصّورة أو الفكرة الحقيقيّة.

و الفنّ حسب أرسطو أيضا ليس تقيّدا بما يتضمّنه المنطر أو الشّيء المراد تصويره، فالفنّان حسبه إذا أراد نقل شيء أو فكرة ما فلا يجب أن يتقيّد بما يتضمّنه دلك الشّيء، بل يعطي أجمل منه، فالتّصوير هنا لا يكون حرفيّا و مرآويّا لأن الفنّ يكمل ما ينقص الطّبيعة فالفنّ في نظر أرسطو " ليس هو أن تحاكي الطّبيعة محاكاة الصّدى، وتمثّلها تمثيل المرآة وتنقلها نقل الآلة، تلك هي النّتيجة التّي تنفي الذّكاء و العبوديّة التّي تسلب القوّة، إنّما عظمة الفنّ أن يفوق الطّبيعة. " (رمضان، 2004، صفحة 29).

ونجد **سوسير** باعتباره جعل العلامة ثنائيّة قائمة على دال ومدلول قد أغفل بعض المؤشّرات الضّروريّة في التّدليل كالرّمز و الإشارة و الأيقون. وذلك لاهتمامه بالعلامة اللّغويّة في ذاتها، في حين نجد **بيرس** له وجهة نظر عقليّة محضة. فقد توصّل بتقسيمه الثّلاثي للعلامات إلى الأيقونة والشّاهد و الرّمز.وهو تقسيم يقوم على حقيقة العلاقة بين المصوّرة (الدّال) والموضوع (فاخوري، 1985، صفحة 13).

وبعد تطرّقنا لسيميولوجيا **سوسير** وسيميوطيقا **بيرس**، نجد أنفسنا أمام عدّة اتّجاهات أخرى لهذا العلم بحسب فهم الدّارسين الغرب لها، و العرب بصفة خاصّة الذّي يرجع إلى الفهم الإنساني واختلاف الأيديولوجيّات و الأسس المنطقيّة و الثّقافيّة، فيمكن تقسيم السيّميولوجيا إلى سيميولوجيا التّواصل، سيميولوجيا الدّلالة، سيميولوجيا الثّقافة (مبارك، 2000، صفحة 83).

ويركّز هذا الاتّجاه على الوظيفة التّواصليّة في أي علامة دلاليّة، مع هدف الإبلاغ و التّأثير في المتلقّي أو المرسل إليه، والتّي تشمل أنماط مختلفة كاللّغة مثلا أو الصّوت أو الرّائحة وغيرها، فمثلا يمكننا معرفة أي نوع من أنواع الورود بذكر اسمه أو شمّ رائحته أو تقديم صورة له أو رسمه، فهنا تصبح العلامة المذكورة تتكوّن من دال و مدلول ووظيفة قصديّة (حمداوي، 2015، صفحة 08).

1.3 سيميولوجيا التّواصل: ويركّز هذا الاتّجاه على الوظيفة التّواصليّة في أي علامة دلاليّة، مع هدف الإبلاغ و التّأثير في المتلقّي أو المرسل إليه، والتّي تشمل أنماط مختلفة كاللّغة مثلا أو الصّوت أو الرّائحة وغيرها، فمثلا يمكننا معرفة أي نوع من أنواع الورود بذكر اسمه أو شمّ رائحته أو تقديم صورة له أو رسمه، فهنا تصبح العلامة المذكورة تتكوّن من دال و مدلول ووظيفة قصديّة (حمداوي، 2015، صفحة 08).

ولسيمياء التّواصل محوران:

أ.محور التّواصل: ينقسم إلى تواصل لساني بين البشر عن طريق الفعل الكلامي، وأنظمة خاصّة بعلامات تواصليّة بين الأفراد، وكذلك طريقة نقل الكلام بفضل اللّغة، وتواصل إبلاغي غير لساني كالإشهارات التّجاريّة و إشارات المرور و لغة الصمّ والبكم.

ب.محور العلامة: ينطلق من توافق الدّال و المدلول ويصنّف العلامة إلى إشارة مثل أعراض المرض و البصمات، و مؤشّر كعلامة اصطناعيّة وأيقون كرسالة

أيقونيّة بين الشّيء و أيقونه، والرّمز كعلامة للعلامة (وأخرون ع.، 1996، الصفحات 84-95).

2.3 سيميولوجيا الدّلالة: تبنّى هذا الاتّجاه رولان بارت و البحث السّيميولوجي لديه هو دراسة الأنظمة و الأنساق الدّالة، فجميع الوقائع و الأشكال الرّمزيّة والأنظمة اللّغويّة تدلّ، فهناك من يدلّ باللّغة، وهناك من دون اللّغة المعروفة، كون أنّه لديه لغة خاصّة ، ومادامت الأنساق و الوقائع كلّها دالّة فلا عيب في تطبيق المقاييس اللّسانيّة على الوقائع غير اللّفظيّة.

3.3سيميولوجيا الثّقافة: إنبثقت بشكل رئيسي من الفلسفة الماركسيّة، و تنطلق موضوعاتها من عدّ الظّواهر الثّقافيّة موضوعات تواصليّة وأنساق دلاليّة، وما الثّقافة في نظر أصحاب هذا الاتّجاه إلاّ إسناد وظيفة للأشياء الطّبيعيّة وتسميّتها، وهي بذلك تكون مجال تواصلنا تنظيما للأخبار في المجتمع الإنساني (باسكال، 1987، الصفحات 7-9).

فتعتبر السّيميائيّات هي من حرّرت الأدب و النصّ من سطوة البنيويّة، و إتهاءا بالتّفكيك الذّي طوّر السّيميائيّة الى آفاق جديدة في البحث عمّا هو مغيب في النصّ الأدبي، وبما أنّ السّيميائية علم يعرّفنا على وظيفة الدّلائل داخل الحياة الاجتماعيّة، والقوانين التّي تتحكّم فيها، فالسّيميولوجيا من هذا المنطلق ممارسة استقرائيّة إستنتاجيّة (البازغي، 2002، صفحة 179)، تنطلق في تحليلها للنصّ الأدبي من اعتبار النصّ يحتوي على بنية ظاهرة و بنية عميقة يجب تحليلها، وبيان ما بينهما من علائق (اقبال، 2002، صفحة 44). وتقوم على إطلاق الإشارات كدوال حرّة لا تقيّدها حدود المعاني المعجميّة، ويصير للنصّ فعّاليّة قرائيّة إبداعيّة تعتمد على الطّاقة التّخييليّة للإشارة في تلاقي بواعثها مع بواعث ذهن المتلقّي، و يصير القارئ المدرّب هو صانع النصّ (خلف، 2003، صفحة 48).

إنّ النّقد السّيميولوجي هو معنى ثان للعمل الأدبي يرتبط بالمعنى الأوّل عن طريق العلامات أو بمعنى آخر المعنى الثّاني يكون علامة للمعنى الأوّل أو مشابه له، أو العكس، فبارت يرى أنّ العلاقة التّي تحكم النّقد بالعمل الأدبي هي علاقة المعنى بالشّكل، فالمعنى هنا يمثّله النّقد، أمّا الشّكل فهو النصّ. ومن هذا فإنّ النّقد معنى ثان للعمل الأدبي وعلامة له، فالنّاقد حين يقوم بنقده للعمل الأدبي ويضيف أو ينقص كلاما إلى كلام المؤلّف يجب عليه أن يشوّه الموضوع حتّى يمكن له أن يعبّر عن ذاته، ولا يسعى أن يجعله يحمل شخصيّته بل يعيد صيّاغته من جديد، وبطريقة أخرى بفضل العلامات، معتبرا إيّاه علامة منفصلة ومتنوّعة هي علامة الأعمال الأدبيّة ذاتها (بارث، النّقد البنيوي للحكاية، 1988، صفحة 28).

فالنّقد الأدبي ليس تقويما للعمل الأدبي بل قراءة ثانيّة له، وإضافة معاني أخرى له، وبالتّالي زيّادة في المعنى، فالتّرابط المنطقي للعلامات، فنجد **بارت** يقول في هذا الصّدد " إنّ النّقد هو قراءة عميقة جانبيّة إذ يكشف في العمل الأدبي أمرا معقولا، و هو بذلك يكشف عن تأويل ويسهم فيه غير أنّ ما يظهره هذا النّقد لا يمكن أن يكون مدلولا، (إذ لا يزال يتراجع هذا المدلول حتّى يصل إلى فراغ الذّات)، بل سلاسل من الرّموز و مشابهات في العلاقات، فالمعنى الذّي يهيّئه النّقد للعمل الأدبي ليس في النّهاية إلاّ ازدهارا جديدا للرّموز التّي تصنع هذا العمل." (بارث، النّقد البنيوي للحكاية، 1988، صفحة 81).

ومعنى هذا أنّ النّقد في حالة تجدّد دائمة للمعنى الذّي يطرحه النصّ الأدبي من ناحيّة، و حسب ثقافة النقّاد من ناحيّة أخرى، ولا يرتكز هذا المفهوم حول المدلول حسب مفهوم **سوسير** وإنّما يظلّ في حالة تجدّد و تطوّر حتّى يصل إلى تلاشي المعنى الذّاتي، ويتولّد منه معاني أخرى متجدّدة في كلّ مرّة تطرحها الرّموز الأوّليّة للعمل الأدبي.

4. خاتمة:

وخلاصة القول هي أنّ النصّ عند بارت لا يقف عند تعدّد المعاني المتتابعة في النصّ بل يتجاوزها و يتعدّاها إلى التّعدّد الكلّي للنصّ، ولمعنى آخر لا يقف التّعدّد عند جزئيّات النصّ بل يتعدّاها إلى كليّات النصّ، ويظهر هذا من خلال التّفجير الدّلالي للنصّ، الذّي بدوره يردّي إلى تفجير المعنى الدّلالي للنصّ. وبالتّالي تناثره و تعدّده فتعدّد العلامات في النصّ، وتناسب هذه التعدّديّة مع دلائل النصّ و معانيه (بارث، بحث الأديب بلاغة ضمن كتاب اللّغة و الخطاب الأدبي ، 1993، صفحة 56).

-أنّ السّيميائيّة إنتقلت بالنصّ من حدود الإبلاغ و الإخبار و الإعادة إلى إنتاج الدّلالة، و العلامة هي أساس العمل الأدبي.

-أنّ كلّ ما يتعلّق بالسّيميولوجيا من علامات وإشارات هي الجسر الرّابط بين الفنّ و العمل الأدبي في إطار الحياة الإجتماعيّة.

-اللّغة هي الكائن لبحي الذّي يحيا كما يحيا الإنسان وتموت كما يموت،وهي الوسلة الأمثل للفنّان لإبداع و خلق الفنّان للأعمال الأدبيّة و الجسر الرّابط بين هذه الأخيرة و الحياة الإجتماعيّة.

-أنّ المعنى دائما في حالة تجدّد كلّما تجدّد النّقد كون هذا الأخير ليس تقويما للعمل الأدبي، وإنّما قراءة ثانيّة له وبالتّالي إصافة علامات جديدة أخرى فمعاني أخرى بفضل التّرابط المنطقي للعلاماتالجديدة من جهة، وثقافة الفنّان من جهة أخرى.

5. قائمة المراجع:

أقدّور عبد الله ثاني. (2008). *سيميائيّة الصّورة، مغامرة سيميائيّة في أشهر الارساليّات البصريّة في العالم الوارق*. عمّان.

أمبرتو ايكو. (2007). *العلامة تحليل المفهوم وتاريخه*. الدّار البيضاء: المركز الثّقافي العربي.

بشير تاوريرت. (2006). *محاضرات في مناهج النّقد الأدبي المعاصر*. الجزائر: دار الفجر.

جان ماري سشايفر وأخرون. (2004). *العلاماتيّة وعلم النصّ*. الدّار البيضاء: المركز الثّقافي العربي.

جميل حمداوي. (2015). *الإتّجاهان السّيميوطيقيّة (التّيّارات والمدارس السّيميوطيقيّة في الثّقافة العربيّة)*. مكتبة المثقّف.

حنون مبارك. (2000). *دروس في السّيميائيّة* . الرّباط: دار توبقال.

رضوان بلخيري. (2002). *سيميولوجيا الصّورة بين النظريّة و التّطبيق*. الجزائر: دار قرطبة.

رولان بارث. (1988). *النّقد البنيوي للحكاية*. بيروت: منشورات.

رولان بارث. (1993). *بحث الأديب بلاغة ضمن كتاب اللّغة و الخطاب الأدبي* . الدّار البيضاء: المركز الثّقافي العربي.

سعيد بن كراد. (2012). *السّيميائيّة (مفاهيمها وتطبيقاتها)*. سوريا: دار الحوار.

سعيد بن كراد. (2003). *مدخل الى السّيميائيّة السّرديّة*. الجزائر: منشورات الاحتلاف.

عادل فاخوري. (1985). *علم الدّلالة عند العرب، دراسة مقارنة مع السّيمياء الحديثة*. بيروت: دار الطّليعة.

عبد الجليل متقور. (2001). *علم الدّلالة(أصوله ومناهجه في التّرات العربي)*. دمشق: منشورات اتّحاد الكتّاب العرب.

عبد الفتّاح حمّوز. (2011). *التّواصل و التّفاهم في التّراث العربي القديم* . الأردن: دار جرير.

عبد الله ابراهيم وأخرون. (1996). *معرفة الأخر، مدخل إلى المناهج النّقديّة الحديثة*. الدّار البيضاء: المركز الثّقافي العربي.

عبد الله بوخلخال. (1995). مصطلح السّيميائيّة في البحث اللّساني العربي الحديث. *السّيميائيّة والنصّ الأدبي* ، 74.

عبد المالك مرتاض. (بلا تاريخ). السّمة والسّيميائيّة. *مجلّة الحداثة* ، 19.

عبد المالك مرتاض. *نظريّة النصّ الأدبي*. الجزائر: دار هومة.

عبد الواحد مرابط. (2010). *السّيمياء العامّة وسيمياء الأدب*. بيروت: مطابع الدّار الغربيّة للعلوم.

عصام خلف. (2003). *الإتّجاه السّيميولوجي ونقد الشّعر*. مصر: دار فرحة.

فرديناند دي سوسير. (1985). *محاضرات في الألسنيّة العامّة*. الدّار العربيّة للكتّاب.

فرديناند دي سوسير. (1987). *محاضرات في علم اللّسان العام*. افريقيا الشّرق.

فيصل الأحمر. (2005). *السّيميائيّة الشّعريّة* . جمعيّة الإمتاع و المؤسّسة.

فيصل الأحمر. (2010). *معجم اللّسانيّات*. الجزائر: الدّار العربيّة للعلوم.

كريب رمضان. (2004). *بذور الإتّجاه الجمالي في النّقد العربي المعاصر*. وهران: دار الغرب .

مارسيلّو باسكال. (1987). *الإتّجاهات السّيميولوجيّة المعاصرة* . الدّار البيضاء: دار افريقيا الشّرق.

مازن الوعر. (1988). *مقدّمة علم الإشارة السّيميولوجيا لبيير جيرو*. دار طلاس.

محمّد اقبال. (2002). *عالم الفكر*. الهيئة العامّة لشؤون المطابع الأميريّة.

محمّد الصّغير بنّاني. (2001). *المدارس اللّسانيّة في التّراث العربي وفي الدّراسات الحديثة*. الجزائر: دار الحكمة.

محمّد القاضي وأخرون. (2010). *معجم السّرديّات*. تونس: الرّابطة الدّوليّة.

محمّد بلاسم. (2008). *الفنّ التّشكيلي*. عمّان: دار مجلاوي.

محمّد زكي العشماوي. (1980). *فلسفة الجمال في الفكر المعاصر*. بيروت: دار النّهضة.

محمّد علي أبو زيّان. (1994). *فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة*. الإسكندريّة: دار المعرفة الجامعيّة.

ميجان الرويلي وسعد البازغي. (2002). *دليل النّاقد العربي*. الدّار البيضاء : المركز الثّقافي الغربي.

ميشال أريفيه وأخرون. *السّيميائيّة (أصولها وقواعدها)*. الجزائر: منشورات الاختلاف.

ميكل أفيتش. (2000). *اتّجاهات البحث اللّساني*. الهيئة العامّة للمطابع الأميريّة.

نور الهدى لوشن. (2008). *مباحث في اللّغة ومناهج البحث اللّغوي*. مصر: دار الهناء.

وائل بركات. (2002). السّيميولوجيا بقراءة رولان بارث. *مجلّة جامعة دمشق* ، 57.